



سلسلة إصدارات
الجمعية السعودية للعلوم السياسية ٩



الهوية العربية في ظل العولمة

(إطالة على حال الهوية في مصر والعالم العربي)

د. أحمد محمد وهبان

أستاذ العلوم السياسية المشارك

كلية الحقوق والعلوم السياسية . جامعة الملك سعود



سلسلة إصدارات الجمعية السعودية للعلوم السياسية ٩

الهوية العربية في ظل العولمة

(إطالة على حال الهوية في مصر والعالم العربي)

د. أحمد محمد وهبان

أستاذ العلوم السياسية المشارك

كلية الحقوق والعلوم السياسية . جامعة الملك سعود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمثل الهوية رابطة روحية ضميرية بين الفرد وأمتة، بمقتضاها يسعى إلى إعلاء شأن هذه الأمة ورفع مكانتها بين الأمم، كما تحتم هذه الرابطة على الفرد أن يعيش مدركاً لمقومات ذاتية أمتة التي هي في ذات الوقت عوامل تمايزها إزاء غيرها من الأمم، وأن يسعى دوماً إلى الحفاظ على تلك المقومات في مواجهة أسباب التحلل والانحيار، وذلك إلى جانب اعتزاز الفرد برموز أمتة وإجلالها واحترامها والولاء لها. ويتمثل أبرز مقومات هوية الأمة في الدين، واللغة، والسلالة، والتاريخ، في حين يشكل العلم (أو البيرق) أحد أهم رموز الهوية.^(١)

والحق أن الوعي بالهوية لدى أفراد أمة ما لا بد أن يكون مقترناً بسواد روح العصبية لديهم فيما يتصل بهويتهم وذاتيتهم ومقومات هذه الذاتية وتلك الهوية، فالأمة لا تكون إلا بالعصبية أي بشعور التضامن والتلاحم الجماعي تجاه الأمم الأخرى، وإلا كان الهزال - وربما الزوال - مصيرها.^(٢) ويقول في ذلك الإمام محمد عبده: «إذا ضعفت العصبية في قوم رماهم الله بالفشل و غفل بعضهم عن بعض، وأعقب الغفلة تقطع في الروابط، وتبعه تقاطع وتدابر، فيتسع للأجانب والعناصر الغربية مجال التداخل فيهم، ولن تقوم لهم قائمة من بعد حتى يعيدهم الله كما بدأهم بإفاضة روح التعصب فيهم في نشأة ثانية».^(٣)

ويتعين التنويه إلى أن المقصود بالتعصب هنا صورته المعتدلة، ذلك بأن الإفراط في التعصب يعد مذمة تبعث على الجور، والاعتداء. واذن فالتعصب للأمة لدى أفرادها يتعين أن يكون بالقدر الذي يحفظ لها تماسكها، ويقوي شوكتها، ويلهب حماسها، ويجمع شتاتها في مواجهة أولئك الذين يتربصون بها، ويرومون فناءها.

وعلى الجملة فإن استمساك أفراد الأمة بهويتهم والتفافهم حول مقوماتها ورموزها وإجماعهم على الاعتزاز بها هي أمور من شأنها التأكيد للترابط الوثيق فيما بينهم، وترسيخ مفهوم «نحن» في نفوسهم كتعبير جماعي عن وحدتهم كأبناء أمة واحدة في مواجهة مفهوم «هم» الذي به يعبرون عن كل من لا ينتمي إلى هويتهم وأمتهم. إننا هنا بصدد فكرة الولاء الواحد، والمستقبل الواحد، والأمة الواحدة، والمصير الواحد، والهدف الواحد، والرؤية الواحدة للآخر وللعالم، وفي كلمة إننا بصدد الهوية الواحدة.^(٤)

ويبقى التساؤل: ماذا عن حال هويتنا في ظل العولمة؟

قبل أن نجيب على هذا التساؤل يتعين أن نشير إلى رؤيتنا الخاصة بظاهرة العولمة، وقوام هذه الرؤية أنه مهما قيل عن تاريخ وجذور هذه الظاهرة فإنها إنما تجلت وترسخت وبانت ملامحها كعملية إرادية غائية موجهة في أعقاب زوال الإمبراطورية السوفيتية من الخريطة الدولية في ٢٥ ديسمبر عام ١٩٩١. فلقد أسفر هذا الحادث الجلل عن آثار دولية عظيمة الخطورة طالت مقومات النسق الدولي قاطبة، وذلك بطبيعة الحال نظراً لكون الاتحاد السوفيتي أحد قطبي ذلك النسق الذي ظهر على أنقاض الحرب العالمية الثانية، وعليه فباختفاء ذلك القطب أضحت القطب الآخر (الولايات المتحدة) متفرداً بدرجة التفوق العظمى التي كانت تشاركه إياها الإمبراطورية السوفيتية الزائلة.^(٤)

وتأسيساً على ذلك سعى الأمريكيون - الذين باتوا فجأة ينفردون بتقرير مصير النسق الدولي - إلى تكريس ما يعرف بالنظام العالمي الجديد، ثم سرعان ما راحوا يخرجون على العالم بمفهوم العولمة، وكعادتهم فقد راح الأمريكيون يبشرون العالمين بأن العولمة إنما هي واقع عالمي سعيد تسوده قيم السلام والشرعية الدولية، وفي رحابه ينعم بنو البشر بالرفاهية والسعادة و المساواة الحرية والعدالة، والأخوة الإنسانية التي في ظلها لا مجال للتمييز بين الناس بسبب الجنس أو السلالة أو الدين أو العقيدة.. أو غيرها.^(٥)

على أية حال فإن ملاحظة مجريات الواقع الدولي في ظل العولمة تشير بوضوح إلى زيف كل تلك المقولات والمزاعم الأمريكية، حيث يبدو جلياً للعيان أن العولمة لا تعدو أن تكون عملية إرادية غائية موجهة^(٦) من جانب الأمريكيين تستهدف هيمنتهم على مقدرات العالم وفرض نهجهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأيدولوجي والثقافي والإعلامي على سائر الأمم، فعلى الصعيد السياسي على الكافة أن يدعوا لإرادة القطب الأوحده التي هي قانون لا بد وأن ينفذ على المستوى الدولي، كما أن على كل دولة أن تتبنى الديمقراطية (على الطريقة الأمريكية) باعتبارها النظام السياسي الأمثل، والذي لا بديل له .

وعلى الصعيد الاقتصادي على المجتمع أن يذعن لمقررات المؤسسات المالية الدولية (وعلى رأسها مقررات منظمة التجارة العالمية) المكرسة لتحرير التجارة الدولية، وإجبار كافة الدول على التحول الفوري إلى النظم الرأسمالية (من خلال ما يعرف بعملية الخصخصة) دونما مناقشة ودونما اعتبار لظروف تلك الدول، وما تؤدي إليه هذه المقررات من عواقب وخيمة (اقتصادية واجتماعية) على مواطنيها.

أما على الصعيد الثقافي وما يتصل بالهوية (وهو ما يهمنا في هذا المقام) فإن العولمة - كما نفهمها - تعني سحق سائر مقومات تفرد الهويات والثقافات والتمكين لعناصر الثقافة الأمريكية تحت مسمى الثقافة العالمية، وذلك على اعتبار أن الثقافة الأمريكية - حسب المروجين لها - هي الثقافة الوحيدة الجديرة بالبقاء والاستمرار، إنها ثقافة اللغة الإنجليزية (باللهجة الأمريكية)، والبلوجينز، والهامبرجر، والكوكاكولا، والحرية الفردية غير المقيدة بأي قيد يتعلق بالدين أو العائلة أو الأمة أو التقاليد أو العرف، إن من حق المرء أن يتخلص من كل هذه القيود التي تكبل حرية، وتحد من رغباته وميوله وأهوائه. ولعل أبلغ تعبير عما تقدم ما ورد في وثيقة مؤتمر الأمم المتحدة لسكان والتنمية (الذي عقد بالقاهرة في سبتمبر عام ١٩٩٤) من النص الضمني على أن من ضمن حقوق الإنسان حق ممارسة الرذيلة بمنأى عن أي قيود دينية أو اجتماعية.. أو غيرها.

إننا هنا بصدد سحق الهويات والخصوصيات الثقافية تحت أقدام الثقافة الأمريكية التي هي - حسب مروجي العولمة - مؤهلة لأن تجب ما عداها من هويات وثقافات، ذلك بأنها تمثل ذروة التقدم والتحضر الذي بلغه بنو البشر، إن ركب الإنسانية قد وصل الآن إلى نهاية التاريخ على حسب تعبير المفكر الأمريكي فوكوياما^(٨)، إنها النهاية التي أدرك الإنسان ببلوغها أن نمط الحياة الغربي (ونموذجه الأمريكي الرئيسي) هو أفضل الأنماط الحياتية، كما أن الفكر الليبرالي الرأسمالي هو غاية منتهى التقدم البشري، وأن ما أوجده هذا الفكر من نظم سياسية واقتصادية واجتماعية هي نظم لا بديل عنها لأي أمة تريد أن يكون لها مكان تحت الشمس في دنيا القرن الواحد والعشرين.

في ضوء ما تقدم نشرع الآن في الإجابة عن التساؤل الذي كنا طرحناه عن حال الهوية المصرية (والعربية) في ظل العولمة، إنه التساؤل الذي يمكن إعادة طرحه بأكثر من صيغة حال هل يعاني مجتمعنا المصري (وسائر مجتمعاتنا العربية) أزمة هوية في ظل العولمة؟ أو أئمة أخطار تتهدد هويتنا من جراء العولمة؟

للإجابة على ذلك نقول إنه حتى في ظل عالم ما قبل العولمة كانت ثمة تحديات تجابه هويتنا وتتهدها، ويرتد التحدي الأول في هذا الصدد إلى حالة التخلف الاقتصادي والاجتماعي والسياسي التي عليها مجتمعنا منذ قرون، وإدراك بني جلدتنا للتفاوت الكبير بين مجتمعنا ومجتمعات العالم المتقدم من حيث القوة القومية ومستويات الرفاهية.

إذ نظراً لذلك التفاوت راح قطاع لا يستهان به من المصريين والعرب يفقد الثقة في المجتمع وبنيته وما يحكمه من نظم سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية، بل وفي مقومات هويتنا ذاتها، على اعتبار أن هذه المقومات وتلك النظم - من وجهة نظر هؤلاء - هي السبب وراء تخلفنا عن ركب البلدان المتقدمة، كذلك فقد وجد مفكرون من أمثال قاسم أمين وطه حسين وغيرهم يطالبون بني أوطانهم بالتخلي عما يحكمهم من قيم موروثية وابدالها بقيم الغرب معتبرين أن ذلك هو السبيل الوحيد لمن أراد اللحاق بركب التقدم والمدنية.

وحسبنا أن نشير - في هذا الصدد - إلى مقولة لطله حسين (الذي هو أحد أكبر مفكري مصر والعالم العربي المعاصرين) قوامها: «إن علينا أن نأخذ من الغرب كل شيء حتى القذى في عينيه». على أية حال فإن مظاهر أزمة الهوية داخل المجتمع المصري (والمجتمعات العربية عموماً) قد تنامت في ظل ظاهرة العولمة، ويمكننا أن نحدد فيما يلي أظهر هذه المظاهر:

1. ظهور طبقة من المفكرين (تطلق على نفسها المثقفين) المستغربين راحت تطفو على سطح الحياة الثقافية المصرية وأفسح أمامها المجال لبث أفكارها من خلال مختلف وسائل الإعلام الحكومية ومن بينها الوسائل الإعلامية الحكومية حال القنوات التليفزيونية العامة، والصحف

القومية، إلى جانب الصحف الخاصة وقنوات التلفزيون المستقلة بطبيعة الحال، وتدور أفكار هذه الطبقة حول العلمانية و استبعاد الدين كأساس لبناء المجتمع في شتى قطاعاته (السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية..إلخ)، بل وما برحت تشكك في الثوابت المعروفة من الدين بالضرورة حال الحجاب، وفكرة عالمية الإسلام، كما ذهب فريق من هؤلاء القوم إلى حد الدعوة إلى استبعاد السنة كمصدر أصيل للتشريع والاكتفاء بالقرآن في هذا الصدد. ولا يخفي بطبيعة الحال ما يمثله فكر هذه الطبقة من خطر داهم على أبرز مقومات هويتنا ألا وهو الدين.

ولا يفوتنا في هذا الصدد أن ننوه إلى الظاهرة الغربية التي كانت قد شهدتها الساحة الثقافية المصرية في عام ١٩٩٨ والتي تمثلت في مطالبة عشرات المثقفين المصريين (من المستغربين) بالاحتفال بذكرى احتلال فرنسا لمصر من خلال ما يعرف بالحملة الفرنسية لعام ١٧٩٨، معتبرين أن هذه الحملة كانت أمراً عظيماً للمصريين لأنها هي التي فتحت أعينهم على الحضارة، وكان المصريين هم أمة بلا حضارة وشعب بلا تاريخ. والغريب كذلك أن هؤلاء المستغربين تناسوا تلك الفضائع التي ارتكبتها جنود الحملة من انتهاك لقيمنا، وتحقير لمقدساتنا، وازدراء لهويتنا. إن هؤلاء المستغربين أرادوا أن يغفروا لعسكر الفرنسيين كل جرم ارتكبه في حق المصريين، بل وأن يحتفلوا بذكرى حملتهم معتبرين أن مجرد إطلاع الفرنسيين لنا على الحضارة الغربية هو عمل من الأهمية بمكان بحيث يغفر لهم كل خطيئة وأية جريمة، إننا ببساطة هنا بصدد ظاهرة ابتياع الحضارة الغربية بالهوية^(٩). يشار هنا إلى أن هذه الفئة تجد لها نظيراً فكرياً مشابهاً تماماً في مجتمعات الخليج العربية، إنها الفئة التي تطلق على نفسها (الليبراليين)، والتي يبدو من أدبياتها أنها لا تعرف من الليبرالية إلا ما يخالف شريعة الإسلام، ويناقض التقاليد الراسخة في تلك المجتمعات، فلا تكاد تراهم يكتبون إلا عما يسمونه حقوق المرأة ولكنها بطبيعة الحال على الطريقة الغربية. ولك أن تراجع ما يكتبه بعض ممن يسمون أنفسهم بالليبراليين في الكويت (على سبيل المثال) من دفاع مستميت عن العري والتحلل بدعوى الحرية وعدم الحجر على إبداعات الجسد!!.

٢. ظاهرة قيام بعض القطاعات (من حكومية وخاصة) باستبعاد الموظفين المحجبات (أو اللائي يتجهن إلى الحجاب) من العمل، نذكر من ذلك شركات الطيران الوطنية، والقنوات التلفزيونية الحكومية والخاصة (بالنسبة للمذيعات)، والفنادق الكبرى. ويرتبط بهذه الظاهرة انتشار الملابس الغربية (والغريبة في نفس الوقت) في الأوساط النسائية المصرية، ونظر بعض الفئات إلى اللائي يرتدين الحجاب نظرة استعلائية باعتبارهن حسب التعبيرات الدارجة (بلدي وبيعة). وفي ذلكم أيضا اعتداء - دونما شك - على وضع الدين كمقوم رئيسي للهوية المصرية. و الأدهى والأمر من ذلك أنك تجد بعض الحكومات العربية تضع محاذير صارمة على ارتداء الحجاب في كافة الأماكن العامة وعلى رأسها الجامعات والمدارس، وذلك حال الحكومة التونسية التي لم تكتف بذلك بل وضعت قواعد غريبة لتنظيم الصلاة في المساجد كاستخدام بطاقات ذكية للدخول وذلك بحجة مكافحة الإرهاب!!.

٣. ظهور صنف جديد من القنوات التلفزيونية من فضائية وأرضية يعرف بقنوات الفيديو كليب يقدر عددها بالعشرات، وهي قنوات لا دور لها ولا رسالة إلا التسابق في تقديم كل أنماط الابتذال والعري مجسدة في نوع من الأغاني الخليعة تعتمد في المقام الأول على كل حركات الجسد والإيماءات الخادشة للحياء، دون أدنى اعتبار لكونها موجهة لمجتمع إسلامي يدعو دينه إلى الفضيلة والاحتشام والستر.

يشار كذلك إلى ما يسمى بقنوات (الشات) وما تتبناه من دعوات لأنماط من العلاقات غير المشروعة ولا الشرعية تحت مسميات من قبيل التعارف والتواصل. وهذه الظاهرة ليست قاصرة بطبيعة الحال على الحالة المصرية، بل إنها حالة عربية عامة.

٤. تباهي الكثيرين داخل البلاد (وكذا كل البلدان العربية) بإمامهم باللغات الأجنبية (لاسيما الإنجليزية) حيث يذهب بهم حب التفاخر والمظهرية إلى استخدام لفظات أجنبية - بصورة متكررة - في أحاديثهم العادية مع

أبناء مجتمعهم، معتبرين أن النطق بهذي الألفاظ إنما هو دليل التمدن والتحضر والرقي، وفي ذلك اعتداء على لغتنا القومية التي هي أيضاً أحد أبرز مقومات هويتنا.

يشار كذلك إلى تفشي ظاهرة تواصل قطاعات هامة من المديرين وكبار الموظفين مع بعضهم البعض مستخدمين الإنجليزية في مكاتباتهم الرسمية وذلك على الرغم من كونهم من العرب الأقحاح كما يحدث مثلاً في دبي (العربية)، والأمر الغريب أنهم يبررون ذلك بأن كتابة الخطابات بالإنجليزية أسهل بكثير بالنسبة إليهم من كتابتها بالعربية!!!!

٥. يرتبط بما تقدم وفي إطار الاعتداء على دور اللغة العربية كمقوم للهوية تكالب معظم رجال الأعمال والتجار المصريين على إطلاق مسميات أجنبية على مشاريعهم المختلفة من قرى سياحية، ومحال، وقنوات تليفزيونية.. وغيرها، وذلك من شاكلة، دريم تي في، ونايل كوميدي، ونايل لايف، ودريم لاند، وماجيك لاند (وبعضها مؤسسات حكومية مع الأسف)، وبيفرلي هيلز، وفرجينيا بيتش، براديس بيتش،.. وغير ذلك الكثير والكثير على نحو يصعب حصره، ويجعل المرء يشعر - وهو يجوب طرقات مدننا المصرية - وكأنه ليس على أرض عربية، وكأن اللغة العربية أضحت عاجزة عن مجرد تقديم مسميات لتلك المشروعات والمحال. وتلكم هي أيضاً حالة عربية عامة لا مصرية فحسب.

٦. كذلك اتجه الجامعات المصرية - في خطوة غير محسوبة ومتعجلة _ إلى إنشاء أقسام للتعليم باللغة الإنجليزية الأمر الذي كان من شأنه ظهور فئة من الخريجين لا تجيد التعامل بلغتها القومية وعلى الرغم من ذلك فهي تنظر إلى نفسها باعتبارها فئة متميزة نظراً لتكالب أصحاب الأعمال على توظيفها (بدون داع)، وبالتالي أضحت اللغة العربية وكأنها في مرتبة أدنى من اللغة الإنجليزية، وراح آلاف المصريين - من البسطاء - حتى يبذلون كل جهودهم من أجل إلحاق أبنائهم بأقسام اللغة الإنجليزية، ونبذ التعليم

باللغة العربية باعتباره غير ذي شأن. ويشار كذلك إلى أن هذه حالة عربية عامة، ومن المفارقات الغربية في هذا الصدد أن جامعة بيروت (العربية) قد تخلت مؤخراً إلى حد كبير عن اللغة العربية، وأصبحت مقرراتها الدراسية تدرس في غالبيتها باللغة الإنجليزية، وذلك على الرغم من أن الهدف الأساسي من وراء إنشاء هذه الجامعة هو أن تكون بديلاً عربياً لجامعات التغريب في العالم العربي حال الجامعة الأمريكية.^(٧)

٧. ظهور فئة جديدة من مذييعي ومذيعات التلفزيون ممن يرتدون ملابس غريبة ويتحدثون لغة (فرانكوآراب لقيطة) وذلك بعد أن كان المذيعون - في الماضي - يتمسكون بأهداب الاحتشام، ويتحدثون العربية الخالية من أي لفظات أجنبية مقحمة، بل ويسارعون إلى ترجمة أية لفظة أجنبية قد ترد على لسان أي من ضيوفهم، وذلك بطبيعة الحال حرصاً على اللغة القومية. أما الآن فعليك أن تراجع مسميات برامج التلفزيون (سواء في القنوات الحكومية أو الخاصة) وتشاهد بعض هذه البرامج (لاسيما البرامج الشبابية وبرامج الأغاني) حتى تصاب بالإحباط من حجم الاعتداء على اللغة العربية، وبالتالي حجم الخطر المحدق بأحد أبرز مقومات هويتنا، لا سيما في ظل تراجع الفصحى أمام العامية في حياتنا، وظهور لغة غريبة (تعرف بلغة الروشننة) تنطوي على لفظات ليس لها أي أصل في أية لغة من اللغات، والغريب أن هذه اللفظات صارت متداولة على نطاق واسع في صفوف العامة، والأغرب أنك تجد لها امتداداً واضحاً على السنة مذييعي التلفزيون من الجيل الجديد، كما تمتلئ بها حوارات الأفلام السينمائية المصرية المعاصرة، إلى جانب أنها تستخدم في الإعلانات التجارية التي تبث عن طريق الفضائيات والصحف الخاصة وحتى الحكومية دون أية رقابة على محتوى هذه الدعايات المدمرة لكل قواعد اللغة والذوق معا.

٨. ولا يفوتنا في هذا المقام أن ننوه إلى ظاهرة عظيمة الخطورة باتت تهز مجتمعاتنا الخليجية وتهدد هويتها العربية في الصميم ألا وهي ظاهرة تفاقم الخلل السكاني، والتي تتمثل في تراجع نسبة المواطنين العرب

داخل أوطانهم إلى حد أنهم أصبحوا يمثلون أقلية في بعض الحالات، وهي الظاهرة التي حذر منها بقوة في إحدى مقالاته الهامة المفكر العربي القطري المعروف الدكتور علي الكواري والتي عنوانها ببلاغ إلى من يهيمه الأمر، ولعل من أبرز ما ورد في تلك المقالة قول الكواري (وأقول في بلاغي هذا بخطورة ما أكدته الإحصاءات والتصريحات من تدني نسبة المواطنين في إجمالي السكان إلى ١٠٪ في الإمارات و١٦٪ في قطر، وإلى النصف في البحرين بعد أن كانت قبل عام واحد فقط تساوي الثلثين. أما مساهمة المواطنين في إجمالي قوة العمل فقد تدنت إلى ٥٪ في الإمارات و٧٪ في قطر و١٥٪ في البحرين).^(٣)

وقد نتجت هذه الظاهرة عن لجوء المجتمعات العربية الخليجية إلى استقدام العمالة الأجنبية بأعداد هائلة وربما تكون غير مبررة في كثير من الأحيان، وتنحدر النسبة الغالبة من تلك العمالة من جنسيات آسيوية غير عربية حال الهندية، الفلبينية، والبنغالية، والإندونيسية، والباكستانية، وغيرها. حيث يفضل المستقدمون العمالة من هذه الجنسيات نظرا لقبولها العمل بأجور متدنية جدا.

ولا يخفى على القارئ ما تمثله هذه العمالة من تهديد بالغ للهوية العربية للمجتمعات الخليجية نظرا لعدم إمامها باللغة العربية، وبالتالي لجوئها إلى التحدث بلغة ركيكة جدا للتواصل مع المواطنين الذين عادة ما يضطرون إلى مجازاة هؤلاء الأجانب والتفاهم معهم بنفس هذه اللغة الركيكة الغريبة، والأخطر من ذلك أن نسبة لا يستهان بها من العمالة النسائية الوافدة تعمل كخدمات للمنازل ومربيات للأطفال الذين لا محالة ستتأثر تنشئتهم بثقافات هذه النسوة التي تتصادم في كثير من الأحيان مع الثقافة الأصيلة للمجتمع، كما أن هؤلاء الأطفال سيتعودون على تلك اللغة الركيكة التي تنطق بها مربياتهم والخادmates في منازلهم، لكي تصبح هذه اللغة المهترئة بمرور الوقت هي اللغة الأكثر شيوعا داخل المجتمع حتى بين المواطنين أنفسهم.

٩. يزداد الطين بلة حينما ترى عددا لا يستهان به من شبابنا يقومون بلف رؤوسهم أو تزيين سياراتهم بأعلام دول أجنبية كبرى (حال علم الولايات المتحدة مثلاً) الأمر الذي يمثل اعتداء على أحد رموز هويتنا وهو العلم، فالعلم ليس مجرد قطعة من القماش. وإنما هو رمز لأمة، والعجيب في الأمر هنا أن ما تستخدمه هذه الفئة من أعلام أجنبية يكون لدول ترفض هويتنا، وتحقر من شأننا، وتعادي مصالحنا القومية على المستوى الدولي.
١٠. كذلك فمن أبرز مظاهر الاعتداء على الهوية الملاحظة خلال السنوات الأخيرة ذلك الاتجاه الغريب إلى الاحتفال وعلى نطاق لا يستهان به بأعياد غريبة لا علاقة لمجتمعاتنا بها من الأصل حال الكريسماس والفالنتين داي، والأغرب من ذلك أنك تجد العديد من القنوات الحكومية التي كانت في الماضي مثالا يحتذى في الالتزام والوقار تفرد يوماً كاملاً مترينة باللون الأحمر للاحتفال بعيد كالفالنتين داي مثلاً، ويصاحب ذلك دعوات صريحة ومبطنة لكل إنسان بأن يقيم علاقات مع الجنس الآخر وكأن حياتنا لم تعد بها أية مشاكل، كما أن أمتنا لم تعد مهددة بأية مخاطر، وبالتالي فعلى الجميع أن يتفرغ للحب والغرام، وتبدو الكارثة جلية حين ترى وسائل الإعلام تستخدم تعبيرات متسامحة جداً مع الرذائل ذات الصلة كأن تطلق على العلاقات غير الشرعية بين الرجل والمرأة مثلاً ممارسة الحب!!!!
١١. يضاف إلى كل ما تقدم ظهور صورة أخرى لأزمة الهوية نجمت عن استفحال حدة التفاوت الطبقي في ظل العولمة حيث اتجه مصر (والعديد من الدول العربية الأخرى) - تحت وطأة الضغوط الأمريكية - إلى الأخذ بنظام اقتصاد السوق، وهي الظاهرة المعروفة بالخصخصة والتي مؤداها نبذ النظم الاقتصادية الاشتراكية التي طبقتها البلاد دهرًا طويلاً والمصارعة إلى أعمال النظام الرأسمالي في صورته الأمريكية دون الأخذ في الاعتبار ما يؤدي إليه هذا التسرع من عواقب اقتصادية واجتماعية وخيمة يأتي على رأسها اتساع هوة التفاوت الطبقي بصورة خطيرة يتقلص في ظلها عدد

الأغنياء ويتعاضم عدد الفقراء وتتآكل الطبقة الوسطى ويتآكل معها ما كانت تحققه للمجتمع من توازن اجتماعي، وتطل برأسها صورة جديدة لأزمة الهوية حيث نصح وكأنا أمام أمتين تعيشان داخل مجتمع واحد (أمة من الأغنياء و الأخرى من الفقراء)، وينظر أبناء الطبقة الدنيا إلى نظام الحكم القائم بل وإلى المجتمع قاطبة باعتباره أداة لحفظ امتيازات الطبقة العليا، وبالتالي تسودهم مشاعر السخط و الحنق إزاء هذه الأوضاع، وتتضائل في نفوسهم قيم الولاء لمجتمع يعتبرهم مجرد عائق يرتقي عليه غيرهم الأمر الذي يجعل فكرة الهوية والانتماء إلى الأمة والمجتمع باهتة في وجدانهم^(٣١).

على أية حال فإن ما تقدم هو مجرد عرض موجز - لا أكثر - لشيء مما تجابهه هويتنا العربية الإسلامية من تحديات جسام وأخطار جمة في ظل العولمة والهيمنة الأمريكية^(٣٢).

إن في ثنايا كل ما تقدم ما يشي بأننا نعيش أزمة هوية حقيقية، إننا الآن أفرادا وأسرا، ومؤسسات تعليمية وفكرية (مدارس ومعاهد وجامعات ومراكز بحثية)، ومؤسسات اجتماعية (نوادي وروابط ونقابات وهيئات)، ومؤسسات دعوية (مساجد وجمعيات)، ومؤسسات إعلامية (صحف وإذاعات وقنوات تليفزيونية، ومواقع ومنتديات عنكبوتية)، وعلماء دين وقادة فكر، ومؤسسات سياسية رسمية وتنظيمات غير رسمية _ كلنا كلنا مسئولون عن تلكم الأزمة، كما أن الخروج منها واستعادة هويتنا ممكنة في أوطاننا حية في وجدان سائر بني جلدتنا هو أيضا مسئوليتنا كلنا كلنا.

وعلى الله قصد السبيل.

قائمة المصادر

١. راجع بصدد الهوية ومقوماتها بالتفصيل: أحمد وهبان، الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر: دراسة في الأقليات والجماعات والحركات العرقية (أليكس لتكنولوجيا المعلومات، الإسكندرية، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٧). ص ٧٩ - ٨٩.
٢. راجع في هذا المضمون: برهان غليون، المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات (سينا للنشر، القاهرة، ١٩٨٨). ص ٤٤.
٣. هذه الآراء للإمام محمد عبده نقلا عن المرجع السابق، ص ٤٤-٤٧.
٤. أحمد وهبان، م.س.ذ، ١٤٧.
٥. محمد طه بدوي، ليلى أمين مرسي، النظرية العامة للعلاقات الدولية، (الطبعة الرابعة، الإسكندرية، ١٩٩٢). ص ٢٩٥-٢٩٦.
٦. أحمد وهبان، تحليل إدارة الصراع الدولي: دراسة مسحية للأدبيات المعاصرة (مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للفنون والآداب، الكويت، أبريل ٢٠٠٨). ص ٥٣.
٧. من أبرز الدراسات العربية التي أسهمت في إظهار حقيقة العولمة: ممدوح منصور، العولمة: دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد (دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٢).
٨. يمكن الرجوع تفصيلا إلى الترجمة العربية لكتاب فوكوياما: فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين (مركز الأهرام للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣).
٩. راجع بصدد أزمة الهوية تفصيلا: أحمد وهبان، التخلف السياسي وغايات التنمية السياسية: رؤية جديدة للواقع السياسي في دول العالم الثالث (أليكس لتكنولوجيا المعلومات، الإسكندرية، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤).

١٠. أود الإشارة بالنسبة لموضوع اللغة الإنجليزية فأنا على الإطلاق لست ضدها وأنا مدرك بطبيعة الحال أهميتها كلفة للعلم (باعتبار أن العصر ليس عصرنا طبعاً) وكذلك كلفة للتواصل مع العالم لاسيما وأن العالمية والتواصل مع بني البشر هي خاصة رئيسية من خصائص الإسلام الذي هو كما نؤمن دين جاء للعالمين قاطبة، أما اعتراضى على أقسام الدراسة باللغة الإنجليزية في بعض التخصصات فمرده إلى أسباب عديدة مع تسليمى بضرورة اعتماد هذه اللغة في تخصصات أخرى ربما بسبب تقاعسنا كأمة لم نقدم لها تعريباً مقنعاً حتى الآن، أما عدم قبولى لزحف هذه اللغة على بعض التخصصات فمرده كما قلت لأسباب عديدة لعل من أهمها:

- أولاً: أن هذا الأمر يعنى تراجع لغتنا القومية في بلادها بدلا من تطويرها كلفة للتخصصات التي تستأثر بها الإنجليزية كالطب والصيدلة والحاسوب وغيرها، فبعد أن كنا نطالب بتعريب تدريس الطب أصبحنا ندرس بالإنجليزية المحاسبة والسياسة والإدارة والإعلام والقانون وغير ذلك الكثير (وبالمناسبة ما رأيك في إحدى الجامعات المصرية الخاصة التي ترفض تماما أي أثر للعربية داخلها بما في ذلك موقعها الإلكتروني؟).

- ثانياً: كما تعلمين أن هذي الأقسام الجديدة في معظم الأحيان تقف وراءها اعتبارات تجارية بحتة، ثالثاً أن هذه الأقسام المستجدة (والتي يدفع الملتحقون بها مبالغ طائلة لقاء هذا الالتحاق) كرست ظاهرة عدم الشعور بالمساواة بين أبناء الشعب الواحد خصوصاً في ظل استخدام الأمر في التباهي (وعفوا الفشخرة) باعتبار المتحدث في كلية (تجارة إنجلش) وليس مجرد كلية تجارة عربي (بلدي).

١١. راجع هذه المقالة عظيمة الأهمية للدكتور علي الكواري والمعنونة: الخلل السكاني اعتداء على حقوق المواطن: بلاغ إلى من يهمه الأمر، صحيفة العرب القطرية، ١٠ أبريل ٢٠٠٨. وهو متاح على موقع الصحيفة:

<http://www.alarab.com.qa>

١٢. راجع في هذا المضمون: أحمد وهبان، التخلف السياسي، م.س.ذ.
١٣. يعتبر الدكتور جلال أمين واحدا من أكثر المفكرين العرب معالجة لمسألة التحديات التي تجابه الهوية العربية الإسلامية في ظل العولمة، ولعل من أهم دراساته التي عنيت بهذه المسألة:
- تنمية أم تبعية اقتصادية وفكرية (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥).
 - التنوير الزائف (دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩).
 - عصر التشهير بالعرب والمسلمين: نحن والعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ (دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٤).

السيرة الذاتية



- الاسم : د / أحمد محمد محمد وهبان
- تاريخ ومحل الميلاد : ١٠ / ٦ / ١٩٦٥ - جمهورية مصر العربية.
- الوظيفة الحالية: أستاذ مشارك بكلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة الملك سعود بالرياض - المملكة العربية السعودية.
- أستاذ العلوم السياسية المشارك بكلية التجارة - جامعة الإسكندرية - جمهورية مصر العربية.
- التخصص العام: العلوم السياسية.
- التخصص الدقيق: العلاقات الدولية.
- حصل على درجة دكتور الفلسفة في العلوم السياسية من جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٦.
- حاصل على جائزة الدولة التشجيعية - جمهورية مصر العربية (٢٠١١).
- حاضر طلاب **مرحلة البكالوريوس** ومراحل الدراسات العليا بجامعة الإسكندرية وبعض الجامعات العربية في موضوعات مقررات عديدة أهمها:
 ١. مدخل العلوم السياسية.
 ٢. النظرية العامة للعلاقات الدولية.
 ٣. تاريخ الفكر السياسي.
 ٤. التنمية السياسية.
 ٥. سياسات خارجية معاصرة.
 ٦. التاريخ الدبلوماسي.
 ٧. مشكلات سياسية دولية.
 ٨. العلاقات الدولية في الإسلام.
 ٩. تطور السياسة الدولية.
 ١٠. النظرية السياسية.
 ١١. مقدمة في العلاقات الدولية.
 ١٢. تحليل السياسة العامة.
 ١٣. نظام الحكم في الإسلام
 ١٤. لتنظيم العالمي

له العديد من الكتب والأبحاث والدراسات المنشورة منها:

١. العلاقات الأمريكية الأوربية بين التحالف و المصلحة (مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ١٩٩٥).
٢. الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر : دراسة في الجماعات و الحركات و الأقليات العرقية (دار الجامعة الجديدة، ودار الجامعة «خمس طبعات»، الإسكندرية، ١٩٩٧ ، ١٩٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٠٧، ٢٠٠٣).
٣. ظاهرة التخلف السياسي: رؤية جديدة للواقع السياسية في العالم الثالث (مجلة كلية التجارة ، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٩).
٤. لتخلف السياسي وغايات التنمية السياسية (دار الجامعة الجديدة، ودار الجامعة، وأليكس لتكنولوجيا المعلومات، الإسكندرية «ثلاث طبعات» ١٩٩٩، ٢٠٠٣، ٢٠٠٤).
٥. التاريخ الدبلوماسي: العلاقات السياسية بين القوى الكبرى ١٨١٥ – ١٩٩٠ (دار الجامعة الجديدة، الدار الجامعة، أليكس لتكنولوجيا المعلومات، الإسكندرية «خمس طبعات» ٢٠٠٠ ، ٢٠٠٢ ، ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٤، ٢٠٠٦) - بالاشتراك.
٦. الفكر السياسي للموردي: رؤية معاصرة (مجلة كلية التجارة – جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٠).
٧. الموردي: رائد الفكر السياسي الإسلامي (دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠١).
٨. حلف شمال الأطلسي: العلاقات الأمريكية الأوربية بين التحالف و المصلحة ١٩٤٥ – ٢٠٠٠ (دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠١) – بالاشتراك.
٩. الصراع الهندي الباكستاني في مرحلة الحرب التقليدية (مجلة كلية الحقوق، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠١).
١٠. الصراع الهندي الباكستاني و الخيار النووي (مجلة كلية التجارة، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٢).
١١. مدخل العلوم السياسية، (دار خوارزم، القاهرة، ٢٠٠٢) – بالاشتراك.
١٢. مقدمة إلى العلاقات السياسية الدولية (أليكس لتكنولوجيا المعلومات، الإسكندرية، ٢٠٠٤) - بالاشتراك.
١٣. الصراع الهندي الباكستاني بين الحرب التقليدية والخيار النووي (أليكس لتكنولوجيا المعلومات، الإسكندرية، ٢٠٠٥).
١٤. مدخل العلوم السياسية، (أليكس لتكنولوجيا المعلومات، ٢٠٠٧) - بالاشتراك.
١٥. تحليل إدارة الصراع الدولي: دراسة مسحية للأدبيات المعاصرة (مجلة عالم الفكر- الكويت، أبريل ٢٠٠٨).
١٦. السياسة الأمريكية تجاه مشكلة دارفور بين اعتبارات المصلحة ودعوى الأخلاقية (مجلة كلية التجارة بدمهور، جامعة الإسكندرية، يناير ٢٠٠٩م).
١٧. نشر العديد من هذه المؤلفات إلكترونياً على : www.kotobarabia.com



للتواصل مع الجمعية

ص.ب ٧٠٥٦٦ الرياض ١١٥٧٧ المملكة العربية السعودية

هاتف: ٠١ ٤٦٧٠٣٨٤ - ٠١ ٤٦٧٠٣٨٥ - فاكس: ٠١ ٤٦٧٠٣٨٣

البريد الإلكتروني: spsaksu@yahoo.com

www.spsaksu.org